

دراسة دلالية عن تغير المعنى وأشكاله

Oleh: Yuyun Rohmatul Uyuni

Abstrak:

Secara sinkronis makna sebuah kata atau leksem tidak akan berubah, tetapi secara diakronis ada kemungkinan dapat berubah. Maksudnya, dalam masa yang relative singkat makna sebuah kata akan tetap sama, tidak berubah, tetapi dalam waktu yang relatif lama ada kemungkinan makna sebuah kata berubah.

Dalam perkembangan penggunaannya, kata sering mengalami perubahan makna. Perubahan tersebut terjadi karena pergeseran konotasi, rentang masa penggunaan, jarak, dan lain-lain. Namun yang jelas, perubahan-perubahan tersebut ada bermacam-macam yaitu: menyempit, meluas, amelioratif, peyoratif, dan asosiasi.

Keyword: Perubahan, Makna, Bentuk-bentuknya

مقدمة

لا غرو في أن اللغات لا تسير في حياتها على النحو الصدفة المطلقة، ولا تسير في تنقلها على ألسنة الناس عشوائيا، بل يحكمها في هذه كلها قوانين، تكاد ترقى إلى مكانة القوانين الطبيعية، ثباتا وقوة، ومهمة العالم اللغوي الاجتماعي هو إلقاء الضوء على هذه القوانين ولا يتحكم فيها.

واللغة كائن حي، فهي تحيا على ألسنة المتكلمين بها، تتطور وتتغير بفعل الزمن كما يتطور الكائن الحي ويتغير وهي تميل بطبيعتها إلى التغير، وفي ذلك قال ماريوباي: "إن الاتجاه الطبيعي للغة هو اتجاه يبعتها عن المركز، فهي تميل إلى التغير، سواء خلال الزمن أو عبر المكان، إلى الحد الذي لا تُوقَف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز..." وهذه الخاصية للغة تشكل الأساس في كل التغيير اللغوي.

وقد أكد أولمان ذلك بقوله: "اللغة ليست جامدة أو ساكنة، بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحيان، فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور".

مفهوم تغير المعنى

التغييرات تحدث في اللغة دائما لأنها نظام للتواصل بين الناس مرتبطة بأحوالهم وظروفهم الاجتماعية والثقافية والعقلية، وهذه الأحوال والظروف لا تسير على وتيرة واحدة. ومتى توفرت الأسباب حدث التغيير حسب طرق وأصناف معينة. وستقرض أنفسنا من بين مشكلات تغير المعنى على مشكلات هي:

١- أشكال تغير المعنى

١. أشكال تغير المعنى

تحديد طرق تغير المعنى يُعد ثمرَةً لجهود اللغويين المحدثين، حيث أفادت دراستهم عن التطور الدلالي حصر مظاهر رئيسية لهذا التطور، وهي:

١- توسيع المعنى (التعميم) Widening

٢- تضيق المعنى (التخصيص) Narrowing

٣- انتقال المعنى.

٤- مظاهر أخرى.

١. توسيع المعنى:

يقصد به تعميم معنى الكلمة، وذلك بنقله من معنى خاص ضيق إلى معنى عام أوسع وأشمل، ويحدث هذا بإسقاط بعض الملامح الدلالية للكلمة، فكلمة "أب" حين تطلق على كل رجل، يسقط عنها ملمح القرابة، ويبقى ملمح الذكورة والبلوغ، وتعميم الدلالات أقل شيوعاً في اللغات من تخصصها، وأقل أثراً في تطور الدلالات وتغيرها، ويذكر فندريس أن التعميم ينحصر في إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله، ويمثل فندريس لهذا المظهر بحال الأطفال الذين يسمون جميع الأنهار باسم النهر لا ذى يروى البلدة التي يعيشون فيها، مثل الطفل البارسي عندما يصيح وقد رأى نهراً: "أرى سينا"^١، ويمثل له Ulmann بالكلمة الإنجليزية Arrive فإنها انحدرت عن الأصل اللاتيني Adripare بمعنى يصل إلى الشاطئ، وهذه الأخيرة ترجع

^١ د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٤.

^٢ فندريس: اللغة (الترجمة العربية): ص ٢٥٨.

بدورها على Ripa أى: شاطئ، فهذه الكلمة كانت في الأصل مصطلحا بحريًا لا يجوز استعماله إلا في معنى الوصول إلى الميناء، أما الآن فقد اتسع نطاق استعمالها حتى أصبحت تشمل عددا ضخما من أنواع الوصول، سواء أكان ذلك على القدم أم بأي وسيلة^٣.

وفي اللغة العربية نلاحظ ما يشبه تعميم الدلالات لدى الأطفال حين يطلقون اسم الشيء على كل ما يشبهه، لأدنى ملابسة أو مماثلة، وذلك لقصور محصولهم اللغوي، وقد يطلق الطفل لفظ "الأب" على كل رجل يشبه أباه في هيئته، وقد يطلق لفظ "الأم" على كل امرأة تشبه أمه في هيئتها^٤.

وقد عقد السيوطي مبحثا في كتابه "المزهر" فيما وضع في الأصل خاصا ثم استعمل عامًّا^٥. وأرى أن توسيع المعنى وإن كان يمثل مظهرا من مظاهر التطور الدلالي وسببلا للتوسيع اللغوي من ناحية، فإنه -من ناحية أخرى- يمثل أحيانا شاهدا على العجز اللغوي (خاص لدى عامة الناس)، والمشاهد لواقع اللغة عند العامة يجد ألفاظا تستخدمها العامة بتعميم لا ضابط لها ولا حد، من بين هذه الألفاظ على سبيل المثال لفظة "بتاع"، "الحاجة" حيث خرجت من معنى الاحتياج على معنى الأشياء التي نحتاجها، أى شيء.

وهكذا "الناس في حياتهم العادية يكتفون بأقل قدر ممكن من الدلالات وتحديدها وهم لذلك قد ينتقلون بالدلالة الخاصة إلى الدلالة العامة، إثارا للتيسير على أنفسهم، والتماسا لأيسر في خطابهم"^٦.

٢. تضييق المعنى: "التخصيص"

ويقصد به تخصيص مجال دلالة الكلمة، ويحدث هذا بإضافة بعض الملامح الدلالية المميزة للكلمة، وهذا المظهر كثير الشيعوع في اللغات، ويمثل له أولمان Ulmann بالكلمة الإنجليزية Poison ومعناها: "السم" وهي الكلمة نفسها Pation "الجرعة من أى

^٣ أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص

^٤ د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٥

^٥ السيوطي: المزهر: ٤٢٩/١

^٦ د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٥

سائل"، ولكن الذي حدث هو أن الجرعات السامة دون غيرها هي التي استرعت الانتباه واستأثرت به، لسبب أو الآخر، وبهذا تحديد المدلول وأصبح مقصوراً على أشياء تقل في عددها عما كانت عليه الكلمة في الصل إلى حدّ ملحوظ^٧، وأمثلة هذا المظهر في اللغة العربية كثيرة، فقد تخصصت كلمة (الطهارة) وأصبحت تعني الختان، وتخصصت كلمة (الحريم) فبعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس، أصبحت الآن تطلق على (النساء)... إلخ^٨.

ويلعب تخصيص المعنى دورًا كبيرًا في مجال المصطلحات الفنية والعلمية، فكثير من العلوم تستدعي الكلمات وتجردّها من معناها اللغوي، وتقصّرها على معناها الاصطلاحي، حتى إن الكلمة الواحدة يصبح لها أكثر من معنى اصطلاحي، مثل: المضارع، يقصد به في النحو: الفعل الدالّ على حدوث شيء في زمن التكلّم أو بعده، ويراد به في العروض: بحر من بحور الشعر. كذلك كلمة (جذر) لها معنى اصطلاحي في علم اللغة يختلف عنه في علم الرياضيات، أيضًا ما حدث لكثير من الألفاظ الدينية مثل: الصلاة، الزكاة، الحج، الصوم، إلخ. حيث تحولت دلالتها من المعنى اللغوي العام إلى المعنى الاصطلاحي الخاص، وقد عقد السيوطي مبحثًا في كتابه: "المزهر"، عنوانه: فيما وضع عامًا واستعمل خاصًا^٩.

٣. انتقال المعنى

ويقصد به الانتقال بالكلمة من معناها الأصلي إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلي علاقة، فإن كانت هذه العلاقة علاقة مشابهة بين المعنيين فهي "الاستعارة"، وإن كانت هذه العلاقة غير المشابهة بين المعنيين فهي المجاز المرسل. والفرق بين هذا المظهر "انتقال المعنى" والمظهرين السابقين تخصيصاً للمعنى، وتعميم المعنى يوضحه فنديس بقوله: وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص، كما في حالة انتقال الكلمة من

^٧ أولمان، دور الكلمة في اللغة: (الترجمة العربية)، ص ١٨٠

^٨ د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ: ص ١٥٤

^٩ السيوطي: المزهر: ٤٣٣/١

المحلّ إلى الحالّ، أو من السبب إلى المسبّب، أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه.. إلخ، ولسنا في حاجة إلى القول بأن الاتساع والتضييق يندشنان من الانتقال في أغلب الأحيان، وأن انتقال المعنى يتضمن طرائق شتى، يطلق عليها النحاة أسماء اصطلاحية: الاستعارة، والمجاز المرسل بوجه عام^{١٠}.

وهناك فرق آخر بين انتقال المعنى وتوسيع المعنى وتضييقه يحدده فندريس بقوله: التوسيع والتضييق يتم بصورة غير شعورية، أما انتقال المعنى فيتم بصورة قصدية، لمقصد أدبي في الأعم الأغلب^{١١}.

واستعمال الكلمة بالمعنى الجديد على سبيل المجاز لا يلبث مع كثرة الاستعمال أن ينتشر بين الناس، وتتحول الدلالة المجازية إلى حقيقة، وقد أثبت اللغويون ملاحظاتهم بأن تغير الدلالات يكون في الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات المعنوية (المجازية)، والمسافة بين المعنى الحقيقي (الحسي) والمعنى المجازي (المعنوي) تمثل رحلة تغير الكلمة من الحقيقة إلى المجاز.

وقد ميّز اللغويون بين نوعين من انتقال المعنى، وقام هذا التمييز على أساس نوع العلاقة بين المعنيين، وهما:

أ- انتقال المعنى لعلاقة المشابهة بين المدلولين.

ب- انتقال المعنى لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين.

انتقال المعنى لعلاقة المشابهة بين المدلولين، أي بسبب الاستعارة.

وقد وضّح Ullmann هذا النوع بقوله: إننا حين نتحدث عن عين الإبرة نكون قد استعملنا اللفظ الدال على عين الإنسان استعمالاً مجازياً، أما الذي سوّغ لنا ذلك فهو شدة التشابه بين هذا العضو والثقب الذي ينفذ الخيط من خلاله^{١٢}.

ويبين Ullmann أن هناك نوعاً آخر من الاستعارة يعتمد على التشابه في الشعور، فيقول: "وهناك نوع آخر من الاستعارة يعتمد على التشابه في الشعور نحو

^{١٠} فندريس: اللغة، (الترجمة العربية): ص ٢٥٦

^{١١} أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص ١٨٥

^{١٢} أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية)، ص ١٨٣

جانبي الاستعارة، وفي نوع الإحساس بها، أكثر من اعتماده على التشابه في الخصائص الجوهرية^{١٣} وذلك كما في قولنا: تحية عطرة، كلام بارد، حوار ساخن... إلخ، فهنا يوجد الإحساس بأن هناك تشابهاً بين التحية الطيبة وبين العطر، وبين الكلام الهادئ غير المؤثر والبرد، وبين الحوار المملوء بالانفعال والحيوية والسخونة.

انتقال المعنى لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، وهو المجاز المرسل:

والمجاز المرسل طريق من طرق التطور الدلالي، ويوضحه Ullmann بقوله: (كلمة Bureau مكتب) قد يكون معناها اليوم: المكتب الذي يجلس إليه الإنسان ويكتب عليه، المصلحة الحكومية، أو المكان الذي تدار منه الأعمال، ومن الواضح أنه ليست هناك مشابهة بين المدلولين، ولكن بينهما ارتباطاً من نوع آخر، فالمكتب الذي نكتب عليه يوضع في الأماكن التي تدار منها الأعمال، وعلى هذا فالفكرتان مرتبطتان ببعضهما ببعض، في ذهن المتكلم، أو قل: إنهما ينتميان إلى مجال عقلي واحد. هذا هو التفسير النفسي لذلك النوع من المجاز المعروف بالمجاز المرسل.

وللمجاز المرسل صور متعددة، وذلك بسبب تعدد علاقاته، فإطلاق الكلمة على الجملة، من قبيل إطلاق الجزء على الكل، فالعلاقة هنا جزئية، وذلك في مثل: ألقى الرجل كلمة في الحفل.

وإطلاق اللسان على اللغة من قبيل إطلاق الأداة على الشيء، فالعلاقة هنا آلية، وإطلاق محل حدوث الشيء على الشيء نفسه، فالعلاقة هنا هي المحلية، في مثل: تفوه الرجل بكلام طيب. فالفهم محل للكلام، وعلاقة السببية واضحة في مثل الألفاظ: نبّه، أيقظ، شوّق حيث إن القول هنا سبب لحدوث فعل التنبيه واليقظة والشوق.

واعتبار العلاقة الزمانية يتضح في مثل: يصبّح عليه، يمسي، المسحراتي، فدلالة الكلام هنا ارتبطت بزمن محدد، وهو على الترتيب: الصباح، المساء، السحر.

^{١٣} أولمان، دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص ١٨٥

واعتبار ما سيكون يلح عندما نخاطب بعض التلاميذ النباه في فن خاص بـ"يا شاعر.."

٤. مظاهر أخرى

هناك مظاهر أخرى لتغير المعنى، منها:

أ- المبالغة

اعتبرها Ullmann "مسئولة عن الشعارات المذهبية والاصطلاحات الخادعة التي تستغلها أجهزة الدعاية أسوأ استغلال، حتى إنها لا تلبث أن تؤدي إلى عكس المقصود منها"^[16]، وذلك كما في نحو: "سعيد بشكل مخيف"، "ورائع بكل بساطة"، وقد عدها Ullmann من المجاز بيد أنها من وجهة النظر العربية أوسع من دائرة المجاز^[17].

ب- رقي الدلالة أو انحطاطها

شرف الكلمة وقيمتها بين الجماعة اللغوية مستمد من قيمة معناها، فكلمة "لواء" مثلاً، لا تكمن قيمتها في اللام والواو والألف والهمزة، فما هذه الحروف إلا رموز معبرة عن معنى اصطلح الناس عليه، وقيمة معناها تتجلى في قيمة السلطة المخولة لهذه الرتبة وفي قيمة المسئولية المنوطة بها، والفرق بين هذه الكلمة وكلمة "نقيب" ليس هو الفرق بين حروف الكلمتين، وإنما هو الفرق بين المعنى المشار إليه بكلمة "لواء" ومعنى كلمة "نقيب" المتمثل في قيمة السلطة وقدر المسئولية المنوطتين بها.

ومع تطور الحياة وتغيرها تتغير دلالة بعض الكلمات، وقد يكون نصيب الكلمة من التغير أن تستعمل بمعنى قيمته أقل من قيمة معناها الأقدم، إنه تحول من الأفضل إلى الأدنى، ويطلق عليه انحدار المعنى Degeneration^[18] أو انحطاط الدلالة.

والمثال على ذلك: تعبير "طول اليد" ورد في الحديث النبوي الشريف بمعنى: السخاء والكرم والجود، حين سألت نساء النبي صلى الله عليه وسلم: أينما أسرع لحاقاً

¹⁴ أولمان، دور الكلمة في اللغة: ص ١٨٥

^[17] أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص ١٨٥ (تعليق المترجم).

^[18] د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص ١٥٦..

بك يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أطولكن يدًا"، في حين أن الكلمة في الوقت الحاضر قد تستعمل بمعنى السرقة.

كذلك اللفظة "ورد" تدل على نبات له أزهار جميلة المنظر ذكية الرائحة ولها ألوان جذابة، في حين أصبح للكلمة دلالة أخرى في بعض المطاعم في هذا العصر، حيث يطلقونها على "البصل المجفف"، والفرق واضح في مكانة كل معنى من المعنيين في نفوس الجماعة اللغوية.

وكما قد يصيب الكلمة "انحطاط دلالي"، فقد يكون من نصيبها أن تنال دلالة أفضل من دلالتها التي كانت تستعمل بها، وهو ما يسمى برقي الدلالة أو تسامي الدلالة [19] Elevation. ويقصد به انتقال المعنى من الأدنى إلى الأفضل، والمثال على ذلك كلمة (قرآن)، وهي مصدر من الفعل قرأ بمعنى جمع الشيء بعضه إلى بعض، في كلام العرب قبل الإسلام، وبمعنى الإسلام أطلقت على كلام الله تعالى "القرآن"، وفي هذا من سمو المعنى ورقيه ما لا يحتاج إلى بيان، كذلك كلمة "آية" استعملت في كلام العرب قبل الإسلام بمعنى: العلامة، لكن دلالة الكلمة ارتقت درجة أفضل حين استعملها القرآن بمعنى الجملة من الكلام [20].

المراجع

Aminuddin. 1988. Semantik Pengantar Studi Tentang Makna. Bandung : Sinar Baru

Djajasudarma, T.fatimah. 1993. Semantik. Bandung : Eresco

Abdul Chaer. 1990. Pengantar Semantik Bahasa Indonesia. Jakarta : Rineka Cipta

أحمد مختار عمر، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦

د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٤٩ وما بعدها

محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي،

كلية دارالعلوم – جامعة القاهرة، ١٩٨٣

[19] لسان العرب: مادة (ق ر أ)؛ مادة: (أ ي ا)

[20] د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٤٩ وما بعدها.

صبري ابراهيم السيد، علم الدلالة إطار جديد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢
عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء